بِنية الحدث في رحلة الحسن بن محمد الوزان إلى السُّودان الغربي

الدكتور سليمان صالح الإمام الحقيقي.
قسم الآداب والعـلوم الإنسانية ، كلية التعليم المستمر
جامعة بايرو ، كنو_ نيجيريا.
Alimamsolihucollege@gmail.com
والأستاذ سعيد يوسف
قسم اللغة العربية ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة عمر موسى يرأدوا كشنا _ نيجيريا
saidyusuf42@gmail.com/said.yusuf@umyu.edu.ng

ملخص البحث :

إن الحدث أو الوظيفة في الرواية التقليدية قبل ظهور المنهج الشكلاني والبنيوي لم يكن شيئا يذكر في الأوساط العلمية بالاهتمام والاعتبار غير الشخصية الرئيسية، الأمر الذي جعل الحدث شبه مهمل كلي في فضاء النص السردي، مع أن الشخصية التي أخذت مساحات واسعة وعريضة من الاعتبار والتقدير في الرواية التقليدية، وهي لا تتحدد إلا عبر ما تقوم بها من الأفعال والوظائف. ولذا نهض كوكبة من النقاد الحدثين أمثال جوليان غرين الأديب الروائي الأمريكي الفرنسي، وميلان كونويرا الأديب التشيكي العالم، وجان ريكارد، وهنرجيمس فأسقطوا بمنهج "فلاديمير بروب" كل ما كانت الرؤية التقليدية حريصة عليها نحو الشخصية، ثم انحصروا كل الأهمية في أعمال الشخصية لا في الشخصية نفسها.ولهذه المكانة المركزية التي تبوأها الحدث في الفضاء السردي سعى الباحثان في هذه المقالة إلى استثمار منهج بروب لتوضيح ذلك الحدث أو الوظيفة من خلال رحلة الحسن الوزان إلى السودان الغربي بغية استجلاء بنياتها السردية العامة .أما إشكالية المقالة فتكمن في السؤال التالي: ما دور الشخصية إن لم تكن ما تقرره الحادثة ولم تكن هي توضيحا للشخصية؟ أما الخاتمة فهي عبارة عن خلاصة المقالة ونتائجها.

مقدمة :

يعتبر الحدث بكل تقنياته السردية وليد تحولات الإنسان والزمان والمكان. إذ يستحيل وجوده دون هذه السلطات الثلاث وغيرها،كما لا يمكن أن يُنْجز الحدث جلَّ أو قلَّ إلا بها. لذلك كانت الوشائج القائمة بين الزمان والمكان والإنسان في النص الرحلي وشيجة حتمية وحميمية تتراوح بين التأثير والتأثر. ويمكن القول بناء على ذلك إن الإنسان ما هو إلا مكان يتواجد فيه، وزمن يقضيه، وحدث ينجزه فيه. وهذا ما يجعل دراسة الحدث عملية بالغة الأهمية عند مقاربة أثر قصصي فني. وهذا ما يضطر الباحثان إلى معالجة قضاياه العلمية والفنية في هذه المقالة المتواضعة، وإلى أن يفرد له دراسة بناءة خاصة ومستقلة دون اندماجه مع بنية الشخصية، فضلا عن أنه ثانيها في مكونات المرويفي العمل السردي. ولإدراك تلك الحقيقة الفنية الكامنة في التحليل الوظائفي والبنية الوظائفية، حاول الباحثان معالجتها كلها. أما المنهج المتبع في تحليل الوظائف لهذه الرحلة وخاصة في تقطيع أحداثها هو نظرية فلاديمير بروب الوظائفية حيث يقصد الباحثان برمز "و ب" (وضعية البدء). بمعنى بداية الحدث في الرحلة. ثم يعني رمز "و ن" (الوضعية النهاية) نهاية الحدث في الرحلة. أما رمز "ح" في كل التقطيع الحدثي فكان يعني بـــ(حادثة الرحلة). وعليه تحتوي هذه المقالة على النقاط التالية: محمد الحسن الوزان حياته ورحلته، مفهوم الحدث ونسقه البنائي. تجليات الحدث وتقطيعاته الفنية في رحلة الوزان. البنية الوظائفية لرحلة الحسن الوزان. الخاتمة. المصادر والمراجع.

الحسن الوزان حياته ورحلته:

أ. ــ بيئة الحسن الوزان :

لقد عاش الحسن الوزان خلال القرن السادس عشر الميلادي، في البيئتين المتضادَّتين: الإسلامية، والمسيحية،ينتمي الوزان في الأولى إلى أسرة دبلومسية محنكة. حيث كان أبوه رسولا أمينا، لسلطان محمد الوطاسي سلطان فاس في جمع الضرائب.وكان عَمُّه كذلك لسان السلطان وخطيب بلاطه في الشوؤن الإسلامية داخل الدولة وخارجها، وفوق ذلك كانت أسرته تنتمي إلى "قبيلة بنى زيات الزناتية العظيمة، الواقع موطنها في أقصى غرب بلاد غمارة، من سلسلة جبال الريف المغربية، بين ساحل البحر المتوسط ومجرى وادي لاو القريب من مدينتي شفشاون وتطوان، وقد عاشت هذه الأسرة حقبا من الزمن في الفردوس المفقود" [1]. فكل هذه الظواهر وغيرها تفصح أن الوزان عاش في الطبقة الاجتماعية الراقية والمعتبرة، وفي البيئة الثقافية الإسلامية العالية (بيئة فاس)، وفي الوضع السياسي المعمر بكل هدوء واتزان، وفي العصر عاد كل شيء إلى سكون وسلام. وذلك بعد سقوط غرناطة على يد الأسبانيين، وانتقال أسرته إلى فاس.[2]

فهذا الوضع الفكري والثقافي والسياسي هو الذي تأثر به الحسن الوزان في اكتساب خبرات سياسية ونبوغ علمي مبكر،وتجارب شخصية حادة، جعلته تحت الضوء ومحط إعجاب الرؤساء والسلاطين المغاربة، وخاصة سلطان فاس محمد الطوسي البرتغالي، الذي أسند إليه مهام سياسية خطيرة، دون النظر إلى حداثة سنه، والظروف التي يعيش عليها المغرب آنذاك من ويلات تقسيم الدولة إلى الجنوب والشمال، والإمارات، والاختلال.[3]وتعتبر كل هذه المهام السياسية المسندة إلى الحسن الوزان في سنه المبكر،بالاضافة إلى النشاط الدبلوماسي والتجاري لأسرته، من أكبر دوافع دفعته إلى القيام برحلات عديدة داخل بلاد المغرب وخارجها، وتسجيل مشاهداته من البلاد والعباد والوهاد. وبخاصَّةٍ رحلاته إلى السودان الغربي في أول مرة مع عمه، والتي كان مصدرها النشاط الدبلومسي السياسي من قبل عمّه المبعوث بأمر سلطان فاس إلى ملك مدينة (دعة) قريبة تنمبكتو[4].

أما البيئة الثانية المسيحية: فقد عاش فيها الوزان مالا يقل عن السنين الثلاثين أسيرا، تحت البابا ليون العاشر في روما، ومنه تسرب إليه لقبه بليون الإفريقي. ومن خلال تواجده عنده اكتسب الثقة والصلة القوية بينه وبين البابا نتيجة مخايل النجابة والذكاء والموهبة الخارقة للعادة التي لاحظها منه البابا، الشيء الذي حوَّل الصلة بينهما من صورة سيد بأسير إلى قريب بقريب، ومما ساعده على اكتساب اعجاب هذا البابا هو سرعة تأقلمه مع البيئة المسيحية، وتظاهره بالتمسح، وتغيير الاسم من الحسن الوزان إلى "يوحنا الأسد"[5]. ولعل علة ذلك تعود إلى موطنه غرناطة والتي قد اصطبغت بعد سقوطها بصبغة الكنائس وأساقفتها وطقوسها، واللغة القشتالية الوثيقة باللاتينية المنتشرة فيها، وهو الأمر الذي مكن الوزان في تأقلمه مع بؤرة المسيحية في بضع سنين من نزوله عند البابا بروما[6].

وفي هذه البيئة عاش الوزان معلم اللغة العربية للخاصة من رجال الكنيسة والأساقفة، ولعامة الطلبة في مدرسة بولونيا في إيطاليا، تحت كنف "الكردنيال جيل دي فيصيرب" ليتمكن بذلك الأوربيون من الاطلاع المباشر، والاستفادة الكاملة من التراث العربي مثل الفلسفة والفلك والكيمياء والطب وغيرها من خلال عصر النهضة الأروبية.

ومن خلال هذا النشاط الثقافي لاحظ الكردنيال من الوزان التفوق الحاد في المنهج والسلوك،وفي التعليم والتأليف، فخاف عليه وهو في آخر حياته، واستدعى النبيل المسيحي الذي كان من حاشية

الامبراطور شارلكان في بولونيا وهو" جان البيرويدمان نسطار j.a.widmanstard إلى روما ليسند إليه تكفيل الوزان ورعايته. إلا أن الحظ السعيد أدى بالوزان إلى الاختفاء والفرار قبل وصوله إلى روما، وفر فرار الآبق من روما إلى تونس حوالي 957/ 1550م، ومنها عاد إلي بيئته الإسلامية والعربية الأولى في فاس، وفيها قضى معظم بقية حياته. غير أن الملاحظ من ذلك كله، أن الوزان مع طوال السنين الثلاثين أسيرا في روما وإيطاليا لم يتغير مثقال حبة من عقيدته الإسلامية، و لا قيد أنملة من إيمانه القوي بربه ورسوله حتى أعاده الله إلى وطنه "فاس"[7].

ب ـــ حياته ورحلته:

ولدالحسن بن محمد الوزان في غرناطة سنة 888/ 1483م قبل سقوطها بنحو عشر سنوات في يد الأسبانيين البرتغاليين، الذين احتلوا المغرب وثغورها في القرن السادس عشر الميلادي،نشأ الوزان في البيئة الإسلامية والمسيحية معاإلا أن النزعة الأولى ضربت خيامها على الثانية في حياته العامة والخاصة.بدأ يأخذ مبادئ العلوم الإسلامية والعربية على يد والده وعمه في غرناطة، وبعد سقوطه انتقل مع أسرته إلى فاس وهو مازال صغيراً يافعاً ينهل من معين والده إلى أن استقر بهم القرار في فاس، فأخذ يدرس على أعلام القرويين الكثيرين ويتقدمهم في الطليعة الإمام محمد بن غازي المكناسي حيث قرأ عليه كتاب"التعلل برسوم الاسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد" وهو الفهرس الذي ألفه ابن الغازي بنفسه، وكان يجيز به تلاميذه، وكان يحتوي على عدة علوم وفنون مثل علوم اللغة وآدابها، والعقائد، والفقه، والتصوف، والتفسير، والقراءات، والحديث، والسير، والحساب، والفلك والمنطق والفلسفة، وغيرها من العلوم والفنون المعروفة عند المسلمين آنذاك.[8]وبعد التحصيل على هذه الإجازة،لم يكتف الوزان بها. بل واصل سير أخذه قدما عبر رحلاته، حيث كان يجالس الفقهاء والقضاة في المدن والقرى التي يزورها،ثم يناظرهم ويناقشهم في عدة نوازل فقهية وفتاوي دينية دقيقة ومسائل لغوية وفكرية وعلمية وغيرها، ومن ذلك اكتسب الوزان عبقريته العلمية والإنسانية الفذة، وأصبح يحبر الرسائل العلمية وينظم القلائد من الشعر ويألف الكتب، بالاضافة إلى التجارب الشخصية السياسية الحادة. فهذه الأمور كما يبدو هي التي جعلته داخلاً في الحياة العامة عدلاً وسفيراً وهو دون الثانية أو الرابعة عشرة من العمر.

وأما من جانب رحلاته فإن الوزان قد انخرط في سلك رحلاته بدافع سياسي وشخصي معاً، إذ كان يصحب والده في رحلاته السياسية وكان صغيرًا، إلى إقليم جبال الريف والأطلس المتوسط، لجمع الضرائب المكلفة به من قبل "سلطان فاس"ولما أصبح الوزان منظما إلى رجال بلاط السلطان طوسي زاد الطين بلة في ركوب مخاطر الرحلة، فتارة تكون رحلاته بمهام سياسية تُكلَّف به، وقدتكون بدافع شخصي للاستكشاف السياحي تارة أخرى. أما رحلاته إلى السودان الغربي والتي تعرض الباحثان لدراستها فهي بمثابة رحلات مهام سياسية خطيرة. حيث صحب فيها عمه المكلف بسفارة من قبل السلطان طوسي إلى ملك سنغاي محمد أسكيا الكبير عام 917/1511م" وسلكوا في الذهاب الطريق المغربي عبر مراكش ودرعة، وأخذوا في الرجوع طريق سجلماسة_فاس.

من خلال هذه الرحلة طالب ملك (دعة) عمه بالحضور إلى مملكته للتبرك به إلا أنه رفض واعتذر له وبعث إليه الوزان نيابة عنه. أما رحلاته إلى مملكة برنو وبلاد هوسا من جهة أخرى فتعتبر رحلات استكشافية وسياحية شخصية،قام بها الوزان لتفقد أحوال المملكة وشعوبها، وحالاتهم الاجتماعية، والسياسية والدينية. وقد يصطف هذه الرحلة في الدرجة الثالثة من بين ترتيب رحلاته التاسعة التي فصل

القول عنها في كتابه "وصف أفريقيا"[9]، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن رحلته إلى السودان الغربي وقعت في أيام حداثة سنه.

أما تدوين رحلاته على أكثر ما يبدو عند دارسي رحلاته فهو أنه من جهود الرحالة الوزان دون غيره، وهو الذي قام بتدوينه بنفسه. فرحلات "وصف أفريقيا" بصفة خاصة قد استأنف تقييدها بالايطالية، وأفرغها عام 933/ 1526م بمدينة روما.حيث مر عليها عشرون عاما قبل تقييدها وهو القسم الثالث من كتابه المعنون بـــ"الجغرافيا العامة".وقد ضرب الوزان الرقم القياسي برحلاته في تاريخ الرحالين العرب والغربيين في القرون الوسطى حيث خاض مغامراتها واقتحم مخاطرها فخرج منها وهو دون العشرين من العمر. أما الحديث عن تاريخ وفاته ومكانه ففيه أقوال وآراء من الباحثين والمؤرخين إلا أن الأرجح منها أنه مات بعد عام 957/ 1550م بمدينة فاس ودفن بها[10].

ج ـــــ أسلوبه في سرد رحلاته:

يختلف الوزان بأسلوبه ولغته في كتابة رحلاته عن كثيرين من الرحالين العرب في القرون الوسطى بصفة عامة ومن الرحالين المغاربة على وجه أخص، يقف القارئ على بعض جمال أسلوبه في دقة الوصف والتصوير، حيث كان يعطي كل الأماكن والمدائن والقرى التي يصفها حقها من واقعها الجغرافي والطبيعي بصورة تجعلها ماثلة أمام المتلقين. ثم في التحرر من الأسلوب الكلاسيكي، الذي استغرق في طوفانه معظم الكتَّاب القدامى، في القرون الوسطى من حيث الجنوح إلى استخدام الصنعة البديعية، بكل ألوانها إلا ما جاء منه عفوا، ثم في الاهتمام البالغ بالترسل في الأسلوب في السرد والوصف والتصوير. وكذلك في إيراد الأخبار والحكايات بصورة فيها اعتدال، وذكر التفاصيل المتعلقة ببعض المدن والأماكن والأشخاص، إلا أنه يجنح في كثير من الأحايين في ذلك إلى أسلوب التهكم والاستهزاء فالشواهد لهذه الظواهر كلها كفيلة في رحلته إلى السودان الغربي.

مفهوم الحدث ونسقه البنائي:

عرف بعض الحدثين الحدث بأنه: "*سلسلة من الوقائع المتصلة تتسم بالوحدة الدالة وتتلاحق من خلال بداية ووسط ونهاية*"[11]. ويرى رَوْلاَنَ بورنوفُ أن الحدث: "*مجموعة من القوي الموجودة في إثر معين انطلاقا من أن كل لحظة في الحدث تشكل موقفا تتجابه في الشخصيات أو تتحالف*"[12]. وعلى هذه الشاكلة يلاحظ أن الحدث غالبًا ما يصدر من شخصيات حكائية عبر تحركاتها وسكناتها سواء كان واقعياً أو متخيلاً. وعليه يعتبر الحدث عنصرًا أساسيًّا فعالاً من عناصر السرد وبخاصة من مكونات المروي، حيث تعتبر الشخصية أولى مكونات المروي، والتي لايمكن الاستغناء عنهما في النص السردي. فهو صنع عميق يتطلب دقة وذكاء مرهفاً ووعياً دقيقاً من قبل الراوي، وبراعة أدبية في ترتيبها على وفق رؤي معينة ونظام خاص، من شأنه أن يلفت نظر المتلقي، بل ويجعله يتفاعل مع الأحداث لحظة بلحظة (وكلما سارت حوادث القصة قدما، وجد القارئ فيها من أنواع اللذة والتشويق مما يدفعه إلى متابعة القراءة)[13].

ومن هذا المنطلق سعى بعض الباحثين إلى وضع الأنساق البنائية للحدث في النص السردي وقد يعنون بهذا النسق أن السارد له حرية كاملة في أن يختار طريقة يراها مناسبة لإيصال الأحداث والوقائع للمسرود له، متتابعا في ذلك عدة طرائق:فالسارد تارة يميل إلى عرضها بأسلوب عملي تتابعي تصاعدي. حيث تأتي الأحداث بحسب ترتيبها الزمني جزءًا بعد جزء من دون أية انحرافات بارزة في بنيته الزمنية وبدون أن تتداخل أحداثها مع أية قصة أخرى وذلك بشكل أفقي خطي متسلسل،وقد يطلق على هذا المتن الحكائي

بالنسق الزماني الصاعد فخير نموذجه عند الحسن هوخطابه عن تنبكتو وسلطانه. حيث يقدمه في تسلسلٍ دقيقي فني يفضي بعضه إلى بعض وهو يقول:

"لما أرسل ملك فاس عمي سفيرا إلى ملك تنبكتو[14] أخذني معه إلى ناحية درعة التي تبعد عن مقر هذ الرئيس بنحو مائة ميل، فبلغه صيت عمي الذي كان في الواقع خطيبا مصقعا وشاعرا ظريفا. أرسل ذلك الرئيس خطابا إلى حاكم درعة يرجو منه أن يبعث إليه بعمي لرغبته في رؤيته والتعرف عليه، فاعتذر عمي قائلا إنه لايمكن لرسول ملك أن يذهب لزيارة الرؤساء الموجودين خارج طريقه ويؤخر خدمة الملك، إلا أنه تفاديا للظهور بمظهر الكبرياء سيبعث إليه بابن أخيه يسلم عليه، وأرسلني ببعض الهدايا اللطيفة المشتملة على ركابين مزخرفين بنقوش مغربية قيمتها خمسة وعشرون مثقالا، ومهمازين مزخرفين كذلك قيمتها خمسة عشر مثقالا، ونطاقين من الحرير مفتولين بخيوط ذهبية أحدهما بنفسجي والآخر لازوردي، وكتاب في غاية الجمال جديد الجلد عن حياة صلحاء افريقيا، وأخيرا قصيدة في مدح هذا الرئيس. توجهت إليه في رفقة فارسين، ودام السفر أربعة أيام نظمت خلالها قصيدة أخرى في مدح الرئيس المذكور. ولما وصلت إلى المدينة كان الرئيس يتهيأ للخروج إلى الصيد في موكب فخم، وما كاد يعلم بقدومي حتى أمر بإحضاري إليه فورا.

وبعد أن سلمت عليه وقبلت يده سألني كيف حال عمي، فأجبته بأنه بخير وأنه في خدمة جنابه. أمر لي حينئذ بمنزل أقيم فيه، وطلب مني أن أستريح ريثما يعود من الصيد، وقد رجع قبل الوقت المنتظر ليلا، وأرسل في طلبي للالتحاق بقصره، فتقدمت إليه وقبلت يده مرة أخرى، ثم أطريته كثيرا وقدمت إليه الهدايا التي سر بها غاية السرور على ما ظهر لي، وناولته أخيرا قصيدة عمي التي أمر أحد كتابه بقراءتها. وبينما كان هذا الكاتب يشرح له محتوى القصيدة نقطة نقطة، أخذت تظهر على وجهه أمارات الغبطة والارتياح. ولما انتهت القراءة والترجمة جلس الرئيس لتناول الطعام وأجلسني على مقربة منه، وكان هذا الطعام متركبا من لحم الغنم شواء وطبيخا ملفوفا في مرققات من العجين المتناهي في الدقة تشبه شريطيات (لازانيا) قليلا إلا أنها أمتن منها وعجينها أغلظ، ثم أحضروا الكسكسو والفتات وألوانا أخرى من الأطعمة لم أعد أتذكرها الآن..... إلخ.[15]

فالمتأمل لهذه القطعة يلحظ بكل وضوح أنها نموذج دقيق واضح للتنسيق الخطي والتتابع الزمني الدقيق،ويرى أن السارد عرض أحداث هذه الرحلة عرضا منطقيا متسلسلا بشكل أسلوب تتابعي واضح، حيث رتبها ترتيبا تصاعديا بدون أية انحرافات في بنيته الزمنية، وكانت القصة تتطابق تتابع الأحداث في الخطاب مع الترتيب الطبيعي لأحداثها كما أنها جرت بالفعل. فالسارد منذ الوهلة الأولى عمل على تحديد مسافة رحلته من مدينة "دعة" إلى مقر الرئيس المسكوت عنه بنحو (مائة ميل) إضافة إلى ما ذكر من الشخصيات التاريخية المتمثلة في شخصية ملك تنبكتو، وعمه الذي بعثه إلى الملك والرئيس والرفقين الفارسين، تحمل في طياتها دلالة زمنية وكلها تعد معلما زمنيا في الخطاب السردي الرحلي. وقد عمد السارد على ترتيب الأحداث حسب التنسيق الخطي الذي وقعت عليه، وذلك أن ظهور الفضاءات السردية والشخصيات الحكائية يتم عرضها على خطية زمنية تتابعية فنية رائعة.

ومن خلال تلك القطعة السابقة أيضا يلاحظ أن الأحداث بكل تجلياتها جاءت متقابلة بين الزمنين(زمن القصة وزمن الحكاية) وخالية من أن تتداخل أحداثها مع أية قصة أخرى. والسارد العليم يعمد في رصده للخبر السردي من حيث هو وحدة سردية صغرى إلى حالة التوازن بين المتن والمبني الحكائي، ويؤكد بانتهاجه هذا الترتيب على ضرورة التقابل بين الزمنين والذي يصعب إن لم يكن أصعب أن يوجد

لنظام ترتيب الأحداث في المادة السردية أن يتطابق مع نظيره كهذا في الخطاب.مع أن التقابل بين الزمنين من عملية أساسية للنص السردي و"إلغاء هذه الصلة بإقصاء أحد طرفيها، ليست اقتصارا على النص، بل هو بكل بساطة_ قتل له"[16] وبالتأكيد أن الحسن الوزان لم يرد قتل خطابه الرحلي لأنه في الأصل يقدم في هذا الخطاب قبل كل شيء صورة واضحة عن معالم إنسانية طيبة، اتصف بها بعض ملوك السودان الغربي القدامى في حسن ضيافتهم للأجانب، ونبوغ علمائها العلمي والديني المعجز. وهو أيضا لاينقل للمتلقي هذا الخطاب راو عادي قد يزيد أو ينقص من أحداثها أو في شخصياتها وإنما رواها الراوي المبئر الذي عاين الواقعة وخاض غمارها فجاءت أخباره تجربة ذاتية وموضوعية برانية.

وآخر ما يلاحظ من القطعة المستعرضة أيضا توقف الراوي السارد – كما اتضح في الإيقاع السردي– وما ذلك إلا ليقدم التفصيلات البسيطة التي تكمل الخبر السردي، فهو يتوقف ليبين نوع الطعام والفواكه التي يقدم أمام الرئيس. أويتوقف ليصف وجه الرئيس الذي يبتس الغبطة والارتياح والنشوة على إثر المعاني والأريحية الطيبة التي يتلقاها نقطة بعد نقطة من محتوى القصيدة المديحة المهداة إليه.وتارة يسعى السارد إلى عرض الأحداث بشكل أسلوب تضميني.حيث ينطلق من وسط المتن الحكائي على أساس نشوء قصص كثيرة أخرى في إطار قصة قصيرة واحدة بغيةً في توظيفها ملء فجوات داخل العمل السردي من جهة، وسعيا للتنويع في طريق عرضها دفعا للقارئ مللا وسآمة وتشويقا به إلى متابعة القراءة بنهم وحيوية من جهة أخرى. وقد يطلق على مثل هذه الأحداث السردية بالنسق الزماني المتقطع نتيجة الانحرافات الزمنية.

التقطيع الحدثي لرحلات الوزان إلى السودان الغربي:

التقطيع الحدثي لدخوله مدينة السودان الغربي:

وب 0_ دخول الحسن بن محمد الوزان إلى السودان.

ح1_ إعجابه باختلاط الرجل بالمرأة في كوخ ويضاجع كل من تعجبه من المرأة .

ح2_ عبادة الشمس وسجود لها، وعبادة النار، والتمسك بالدين المسيحي.

ح3_ استيلاء يوسف بن تاسين على الزنوج وتعليمهم الشريعة الإسلامية.

ح4_ تعيين سن علي قائدا أعلى على من قبل ملك تنبكتو أبوبكر.

ح5_ ثورة أبي بكر على أبناء سن علي بيرا الظالم الفاجر واقتضاء على أبنائه.

ح6_ تخليص أبي بكر الشعوب السود من ربقة رؤساء قبائل ليبيا

ون _ نشر السلام والهدوء في مملكته.[17]

التقطيع الحدثي لرحلته إلى مدينة ولاتة:

وب0_ دخول حسن الوزان إلى مدينة ولاتة.

ح1_ وفود تجار بلاد البربر إليها بعد أن تسيطر شعوب ليبيا عليها.

ح2_ نادرة وجود اللحم فيها.

ح3_ دخول سن علي على مملكة تنبكتو.

ح4_ ذهاب سلطة أمير ولاتة وتغيير حاله من الغنى إلى الفقر.

ح5_ عدم تنظيم متحضر وظروف حياة الشعب في البؤس الشديد.

ح6_ النساء والرجال يغطون وجوههم.

ون_ وضع البلاد في الموقع الجغرافي والظاهر الطبيعية غير صالحة للزرع.[18]

التقطيع الحدثي لرحلته إلى مدينة كناوة:

وب 0_ وصول حسن محمد الوزان إلى كناوة.

ح1_ استيراد الكثير من الثياب الأوربية والنحاس والصفر من التجار البربر.

ح2_ الطبائع الآراضية غير صالحة للزرع الفواكه والنباتات والأشجار .

ح3_ حب أهل البلاد بارتداد لباس الأبيض.

ح4_دخول أهل النيجر للتشوق معهم خلال شهور يوليون،وغشت، وستمبر.

ح5_ تحويل تحكيم البلاد من أسرة أصل ليبيا إلى سن علي.

ون_ إحالة الحكم والسلطة إلى أحد نواب أسكيا بعد وفاة سن علي.[19]

التقطيع الحدثي لرحلته إلى مدينة ملّيْ:

وب0_ وصول الوزان إلى مالي ولقاؤه بالملك.

ح1_ عناية الملك بالصناع والتجارالمقيمين والطارئين عناية أكثر من غيرهم.

ح2_ تزويد مملكة مالي تنبكتو وكناوة بكثير من المنتجات.

ح3_ تمسكم بحركة التجارة.

ح4_ اتخاذ المساجد مدارس التعليم لعدم وجود المدارس.

ح5_ تعدد المساجد والأئمة والفقهاء وطلبة العلم.

ح6_ تحكيم البلاد تحت سطلة عم ليوسف بن تاسفين ملك مراكش.

ون _ تثقيل الضرائب إلى حد لايستطيع أحد إطعام أسرته.[20]

التقطيع الحدثي لرحلته إلى مدينة تنبكتو:

وب0_ وصول الوزان إلى تنبكتو.

ح1_ تعجبه من مظهر المدينة المبني بأوتاد مملوطة بالطين وسقوفه بالتبن.

ح2_ النساء فيها محتجبات إلا الجواري اللائي يبعن كل المطعومات.

ح3_ بيع كل من أسره الجنود في القتال حتى الأطفال.

ح4_عدم إرضاء الملك لليهود أن يقطنوا البلاد وعقاب من تعاملهم بالتجارة.

ح5_ تعظيم الملك للعلماء و الفقهاء والأئمة في البلاد.

ح6_ تزويج الملك اثنتين من بناته من أخوين تاجرين لغناهما.

ح7_ استيراد بعض أقمشة القطن وأقمشة أوربا إلى البلاد بواسطة تجار البربر.

ح7_ بيع المخطوطات.

ح8_ كثرة خطر الحريق

ح9_ كثرة الريح العاتية.

و ن_ الظواهر الطبيعية الآراضية غير صالحة للزرع والبستان والحديقة.[21]

التقطيع الحدثي لرحلته إلى مدينة كَابَرَة :

وب 0_ نزول الوزان في مدينة كابرة.

ح1_ كثرة الأمراض من حالة الأطعمة المتناولة فيها.

ح2_ عناء طول المسافة بين كابرة وبين البلاد الأخرى.

ح3_ رديئ الظواهر الطبيعية في الواقع أردأ .

ون_ كثرة الحمى من أجل كثرة البعوض
ح5_ كثرة ارتفاع المياه من منتصف دجثمبر إلى منتصف فبراير .[22]
التقطيع الحدثي لرحلته إلى مملكةكاغو:
وب0_ دخول الوزان كاغو.
ح1_ بيع الرقيق ذكورًا وإناثا صغارا وأطفالا,
ح2_ عناية خاصة بالنساء من قبل الملك .
ح3_ تخصيص أروقة للاستقبالات.
ح4_ غلاء استيرادات الملكة كالقماش، والمنمو، والمهاميز، الأعنة وغيرها.
ح5_ مشية عراة حفاة وتنعل بنعال جلد البعير.
ح6_ افشاء الجهالة في المملكة.
ون _ التثقيل في الضرائب.[23]
التقطيع الحدث بلرحلته إلى مدينة مملكة كَوْبِر:
وب0_ وصول الوزان إلى كوبر.
ح1_ قلة الماء.
ح2_ كثرة المواشي فيها .
ح3_ قتل أَسْكيَا تنبكتو الحاج محمد لملك مملكة كوبر.
ح4_ تثقيل كاهل السكان بالضرائب.
ح5_ عدم تحقيق الأرباح التجارية الطائلة.
ون_ احتفاظ بعضهم أسرى واستخدام البعض الآخر كعبيد.[24]
التقطيع الحدثي لرحلته إلى مدينة أغدس:
وب0_ دخول الوزان إلى أغدس .
ح1_ قلة أهل البلاد وكثرة التجار الأجانب.
ح2_ هجوم التجار على الدوام وفتكهم.
ح3_ بداية استعمال الأسلحة النارية.
ح4_ إخلاء الطريق من اللصوص.
ح5_ حصول الملك على موردهم من الأتاوات.
ح6_ دفع الخراج لملك تنبكتو سنويا.
ون _ خلع الملك تنبكتو وتعويضه بأحد أقربائه.[25]
التقطيع الحدثي لرحلته إلى مدينة كنو:
وب0_ دخول الوزان إلى مدينة كنو.
ح1_ اخضاع ملك زكزك وكاتسينا لسلطة ملك كنو.
ح2_إعلان القتال على كنو من قبل أسكيابعد استيلائه على زكزك وكتسينا.
ح3_ إرغام أسكيا من كنو بعد احصار طويل له.
ح4_ طلب تزويج احدى بناته لملك كنو.
ون_ خيبة الأمل وفقد الطموح من الرغبة ورجع أسكيا من كنو بخفي حنين .[26]

التقطيع الحدث بلرحلته إلى مملكة كشنه:

وب 0_ دخول الوزان إلى كشنه.

ح1_ قتل أسكيا ملكهم ونصف الشعب منها.

ون _ المشاجرة بين كتشنةوكنو.[27]

التقطيع الحدثي لرحلته إلى مملكة زكزك:

وب0_ دخول الوزان إلى مملكة زكزك .

ح1_ قتل أسكيا ملكها.

ح2_ شدة البرد وعدم تحمل مشقة الشتاء للشعب فيها.

ح3_ كثرة الثمار والحبوب والمياء.[28]

التقطيع الحدثي لرحلته إلى زنْفَرا:

وب0_ وصول الوزان إلى مدينة زنفرا.

ح1_ استلاء أسكيا عليها وأباد قسما منها.

ح2_ كثرة الحب والارز والدخن والقطن.

ح3_ تنوع شعوب سكانها.وطول القامة وسود البشرة.[29]

التقطيع الحدثي لرحلته إلى مملكة وانْكَرة:

وب0_ دخول الوزان مملكة وانكرة.

ح1_ رسوم السلع والضرائب التجارية .

ح2_ الانحصار القهري.

ح3_ استعمال الخدم على أعمال شاقة.

ون _ الخوف من مملكة بورنو وأمير كاوكاو.[30]

التقطيع الحدثي لرحلته إلى مملكة بَرْنُو:

وب0 _ دخول الوزان مملكة برنو.

ح1_اختلاط النساء بالمرأة بالشكل لايستسيغه الذوق السليم والعقل المستقيم.

ح2_انتشار دعوة اسم بعضهم بعضابحسب الأعراض والخاصيات .

ح3_مشي أهل البلاد عراة في الصيف بمآزر جلد وجلود الغنم في الشتاء.

ح4_ نهب الأموال والممتلكات من أصحابها ظلما وجورا.

ح5_ قتل الأعداء من جيرانه القاطنين فيما وراء قفر ساو.

ح6_ إكراه التجار الوافدين التعامل التجاري مع أهل البلاد.

ح7_ الاسراف في إضاعة الذهب.

ح8_ بخل الملك لقومه.[31]

التقطيع الحدثيلرحلته إلى مملكة كاوكاو:

وب0_ دخول الوزان إلى مملكة كاوكاو.

ح1_ السير في الصيف بلباس غير شبه سروال.

ح2_ قتل العبد الزنجي سيده لأجل ماله.

ح3_ توسيع رقعة البلاد.

ح4_ ميل التجار الأجانب إلى البلاد لما فيها من خيرات ومنتجات قيمة.
ح5_ استقبال الوفد التجاري من دمياط.
ح6_ تكوين الجيوش وتزويدهم بأسلحة نارية حديثة.[32]

التقطيع الحدث بلرحلته إلى مملكة النوبة:

وب0_ دخول الوزان مملكة النوبة.
ح1_ صعوبة العبور من النوبة إلى مصر.
ح2_ انتشار حبة السم التي يُهلك الناسَ أكلُها بين طرفة عين.
ح3_ كثرة جنس (بجة) وهم رعاة يرتدون لباسا رديئا.
ح4_ الإعانة المالية من أمير السواكن أو أمير دمقلة.
ح5_ نهب القافلة التجارية الكبيرة من أصحابها.
ون_ قتل الرعاع الذين كانوا يعيشون عراة أكثر من أربعة آلاف في معركة واحدة[33].

البنية الوظائفية لرحلة الحسن الوزان إلى السودان الغربي:

يعالج الباحثان هنا النموذج الوظائفي للنص السردي الرحليى عند الحسن الوزان حسب استقرائهما لمعطيات التقطيع الحدثي للرحلةسابقا وهو على النحو التالي:

1_ الحياة الاجتماعية :

بلاد السودان ح 1_ بلاد ولاتة ح2_ ح5 _ ح 6_ ون. بلاد كناوة ح3 _ بلاد تنمبكتو : ح 1 _ ح 2 _ ح 6 _ح 8 _ ح9_. مدينة كابرة : ح1 _ ح 2 _ ح 3 _ح4_ ون. مملكة كاغوج : ح 2 _ح3 _ح5 _ ح6 _. مملكة كوبر : ح1 _ ح2 _ ون. مدينة أغدس : ح1 _ ح4 _. مدينة كنو : ح 4 _. مملكة كشتنا : ون. مملكة زكزك : ح2 _ ح3 _. مدينة زنفرا : ح2 _ ح3 _ . مملكة وانكرة : ح 2 _ ح 3 _ ون . مملكة برنو : ح 1 _ ح 2 _ ح 3 _ ح 4 _ ح 5 _ ح 8 _ . مملكة كاو كاو : ح 1 _ ح 2_ ح 3 _ . مملكة النبوبة : ح 1 _ ح 2 _ ح 3 _ ح 4 _ ح 5 _ ون.

2_ الحياة الاقتصادية :

مدينة ولاتة : ح 1 . مدينة كناوة : ح 1 _ ح 2 _ ح 4_ . مملكة ملي :ح 1 _ ح 2 _ ح 3 _ . مدينة تنبكتو : ح 3 _ ح 6 _ ح 7 _ ون. مملكة كاغو : ح 1 _ ح 4 _.مملكة كوبر : ح 5 _. مدينة أغدس ح 1_ . مملكة برنو : ح 6 _ ح 7_ . مملكة كاوكاو : ح 2 _ ح 5 _.

3_ الحياة السياسية :

بلاد السودان : ح 3 _ ح 4 _ ح 5 _ ح 6 . مدينة ولاتة : ح 3 _ ح 4_. مدينة كناوة : ح 5 _ ون. مملكة ملي : ح 6 _ ون . مدينة تنمبكتو : ح 4 . مملكة كاغو : ون. مملكة كوبر ح 3 _ ح 4 . مدينة أغدس : ح 2 _ ح _ 3 _ 5 _ ح 6 _ ون . مدينة كانو : ح 1 _ ح 2 _ ح 3 _ ون. مملكة كتشنة : ح 1 _ . مدينة زنفرا : ح 1 . مملكة وانكرة : ح 1 _ ون . مملكة كاوكاو : ح 6 _ .

4_ الحياة الدينية :

بلاد اتلسودان : ح 1 _ ون . مملكة ملي : ح 4 _ ح 5 _. مدينة تنمبكتو: ح 5 _ ح 2 **5_ الحياة الثقافية :**

مملكة ملي : ح 4 _ ح 5 . مملكة تنمبكتو : ح 5 . مملكة كاغو : ح 6 .

الخاتمة:

إن كل ما قام به الحسن ابن محمد الوزان من خلال الصفحات السابقة من الأفعال والأعمال هي التي تعتبر أحداث رحلاته إلى السودان الغربي. ولقد أفاد الحسن المتلقي إفادة تامة عن معلومات كانت أكثر قوة وثباتا عن حياة أمة السودان الغربي ومجتمعاتهم القديمة وخاصة من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية. ويلمس بناء على ذلك أن بنية الحدث أو الوظيفة تتركز على أعمال الشخصية الحكائية لا على الشخصية نفسها نتيجة الجهود التي بذلها الحدثون من نقاد السراد العرب والغربيين ضد رؤية الرواية التقليدية التي جعلت الشخصية مركز الاهتمام والاعتبار في العمل السردي بدون وظائفها، ولذا تجلت في الصفحات السابقة أن بنية الحدث كانت مهمة كبيرة كمكون سردي فني وبنائي في الفضاء السردي، وأنه هو الذي يقرر للشخصية دورها ثم تكون توضيحا لها مكانة وفنية على السواء. فعلى هذا نوجز أهم ما توصلنا إليه من نتائج فيما يلي:

1_ لاحظ الباحثان في الحسن بن محمد الوزان التمسك الجيد بالمبدإ الديني والإيماني والهوية العربية الأصيلة حيث عاش أسيرا تحت التيارات المسيحية في روما وإيطاليا، مع ذلك لاتطغى تلك التيارات على دينه وإيمانه وهويته بقيد أنملة.

2_ لاحظ الباحثان أن الحدث في الفضاء السردي تقنية فنية كبيرة وجديرة الاهتمام والاعتبار به لأنه يعطي المتلقي الرؤية الدقيقة والصحيحة عن البنية السردية العامة للعمل السردي. ومن ثم لاحظ الباحثان أن نظرية "فلاديمير بروب" الوظائفية التي استثمرناها في هذه الدراسة أتت كرد فعل لكل ما كانت الرواية التقليدية حريصة عليها من المفهوم التقليدي للشخصية.

3_ لاحظ الباحثان من خلال تقطيعنا الحدثي أن رموز التقطيع تتراوح بين (و ب) وضعية البدء. (ون) الوضعية النهاية. أما رمز(ح) فكانت تعني الحادثة. ولكن جميعها تشير لتوضيح البنية السردية العامة كمرحلة أولية للتحليل السردي التي عالجناها في المحور الثالث، والتحليل الوظائفي في المحور الرابع كمرحلة ثانوية أو كبنيات سردية صغرى تشكل في مجموعها ما نسعى إلى إثباتها بأدبية رحلة الحسن إلى السودان الغربي على الرغم من احتوائها المعلومات العلمية والفكرية الأخرى كالجغرافية والتاريخية وغيرها.

4_ لاحظ الباحثان أن المقصود بـــ"الحدث" أو "الوظيفة" في المنظومات السردية هي جميع الأعمال والأفعال التي تقوم بها الشخصية الحكائية عبر الزمكان. وهو يصطلح عليه في نظرية جيرار جينت بالمتن الحكائي.

5_ من خلال تحليل الباحثين الوظائفي للنص الرحلي المدروس رصدنا النموذج الوظائفي: الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية. ولاحظ الباحثان كذلك أن قضايا الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية أكثر شيوعا وتداولا في أعمال الشخصية الرحالة، كما لاحظ الباحثان أنها أخذت مساحات واسعة وبعيدة من الأضواء الكاشفة التي سلطها الرحالة على الظروف الإنسانية التي عايشها أهل بلاد السودان الغربي خلا القرن السادس عشر الميلادي. ثم لاحظ الباحثان كذلك أن البعد الثقافي والديني أقل تجليا ووردودا إذا قسنا بغيرها من حيث اهتمامات الرحالة وتقديره، وإن دل ذلك على شيء فعلى أن المراكز التجارية وتأثيراتها غالبة على عقلية الوافدين من التجار الأجانب وغيرهم، الأمر جعل الروح السياسية الاستيلائية على البلاد عارمة بالحرب أو بالقتل نتيجة استغلال ثرواتها ورجالها، مما جعل رعاية الأمة وإصلاح المجتمع والبيئة على هامش الاعتبار والاهتمام.

الهوامش والمراجع :

1_ الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي : وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية: الدكتور محمد حجي، والدكتور محمد الأخضر، دار الغربالإسلامي، تونس منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط :2، ص: 5_ 6.

2_ الحسن بن محمد الوزان، المرجع نفسه والصفحة نفسها.

3_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، والصفحة نفسها.

4_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص 10.

5_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص11 .

6_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص 13 _ 14.

7_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص 7.

8_ فهذا الكتاب " وصف إفريقيا" عبارة عن القسم الثالث من كتابه (الجغرافية العامة) الذي ألفه باللغة العربية.

9_ مصطفى أحمد : التحليل السردي ، ط: 1، مطبعة دار ستار بتميز 2012م، ص: 19.

10_ إبراهيم حنداري : الروائي بين النظرية والتطبيق، مجلة الموقف الثقافي العدد 44، السنة الثامنة ، 2003م، ص: 144.

11_ سمير المرزوقي وغيره : مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر الدار التونسية للنشر، (د. م .ن)، ص: 32.

12_ ذلك الملك هو الأسكيا محمد الكبير رأس الأسكيين ملوك صنغى، وقد حكم بلاد السودان قرابة نصف قرن (898ـ ــ 934 هـ / 1493_ 1528م.

13_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص: 181ــ 172.

14_ جيرار جينيت: خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، منشورات الاختلاف الجزائر، ط :3، 2000م، ص: 45، 47، 51، 60،77.

15_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص:159_ 160.

16_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص: 161_ 162.

17_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص: 162_ 164.

18_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص: 164_ 165

19_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص: 165_ 167.

20_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص: 168_ 169.

21_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص: 169_ 170.

22_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص: 170_ 171

23_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص:171_ 172.

24_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص: 173.

25_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص:173_ 174.

26_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص: 174.

27_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص:174.

28_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص: 174_ 175.

29_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص: 175_ 177.

30_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص: 177ــ179.

31_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص: 179ــ 181.

32_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص: 181 ــ185.

33_ الحسن بن محمد الوزان ، المرجع السابق، ص: 185ــ 191.